



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف-



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

المباحث اللغوية عند الأصوليين كتاب "الرسالة" للشافعي أنموذجا

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات تطبيقية

إشراف الأستاذ

د/ قدور كحالة

إعداد الطالبة

– رحيمة زويني

الصفة	الهيئة المستخدمة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيساً	الشاذلي بن جديد - الطارف	أستاذ محاضر - أ-	هدى زيام
مشرفاً ومقرراً	الشاذلي بن جديد - الطارف	أستاذ تعليم عالي	قدور كحالة
مناقشا	الشاذلي بن جديد - الطارف	أستاذ محاضر - أ-	عبد اللطيف عطروش

السنة الجامعية: 2024/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى

"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"

{الزُّمَر: 9}.

وقال أيضا

"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"

{فاطر: 28}

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

لقوله تعالى في كتابه العزيز: " لئن شكرتم لأزيدنكم "
أولا وقبل كل شيء، أشكر الله عز وجل على إكرامه لي
بهذه النعمة، أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والعرفان
للكتور " قدور كحالة " المشرف على عملي المتواضع
وتوجيهاته وارشاداته الثمينة.

ولا يفوتني أن أتقدم أيضا بجزيل الشكر إلى أساتذة
كلية قسم اللغة العربية وآدابها.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن أتقدم كذلك بالشكر
وفائق التقدير إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا
العمل سوى من قريب أو من بعيد.

أهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى البارئ الذي خلقني فأحسن
خلقني، إلى من قال الرحمن فيما: " وبالوالدين
إحسانا "

إلى أبي الغالي أطال الله في عمره
إلى التي أكرمها الله بالجنة تحت أقدامها أمي توأم
روحي

إلى كل من علمني حرفا وكل مشارك لي في اعداد
المذكرة

إلى عماد الدار وركائزها اخوتي وأخواتي وإلى
جميع أفراد عائلتي كل واحد باسمه
إلى كل زملائي في الدراسة قريبا وبعيدا
واهدائي إلى كل الأشخاص الذين لهم فضل عليّ



مقدمة

لقد أجمع الباحثون أن القرآن الكريم كان عامل الرئيس في تطور اللغة العربية ونمائها، بحيث هذبها ووحد لهجاتها وجعلها لساناً عربياً واحداً قمة في فصاحة وبلاغة والبيان، كما أضاف إلى الكثير من كلماتها وتراكيبها دلالات جديدة لم تكن معروفة من قبل، بحيث أصبحت هذه التراكيب بهذه التراكيب الجديدة كلمات وتراكيب جديدة جعلت اللغة العربية تبدو لغة جديدة ذات صبغة إسلامية بحثة. وهذه اللغة العربية الإسلامية الجديدة جعلت العلماء العرب القدامى - بجميع تخصصاتهم العلمية والفكرية - يقبلون على دراستها دراسة علمية مستفيضة، لسبر أغوارها، وكشف أسرارها، وتبيان خصائصها.

فاللغويون والنحاة القدامى اهتموا بجمع اللغة العربية الفصيحة من مواطن الفصاحة في عصور الفصاحة، وتدوينها، واستقرائها، واستنباط مختلف القواعد و القوانين الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية. والبلاغيون - هم أيضا - اهتموا من جهتهم بدراسة مظاهر الفصاحة والبلاغة في لغة القرآن الكريم، لاستنباط أهم الألوان البيانية والمحسنات البديعية، وتبيان مختلف الأساليب فيها. والفلاسفة والمتكلمون - هم أيضا - اهتموا بدراسة لغة القرآن الكريم من وجهة نظر فلسفية ومنطقية، وكلامية، بحيث حاولت كل فرقة فلسفية وكلامية، كالمعتزلة، أو الشيعة، أو الخوارج الانتصار إلى مبادئها العقديّة والمذهبيّة، باستخدام جميع الحجج اللغوية والبراهين العقلية في صالحها. وعلماء الشريعة الإسلامية من مفسرين، وفقهاء، وأصوليين - هم أيضا - اهتموا بدراسة القرآن الكريم - ومعها لغة الحديث النبوي الشريف - من أجل تحديد المعاني المقصودة من كلمات القرآن الكريم،

وتراكيبه، وآياته الكريمة تحديداً دقيقاً صحيحاً، واستنباط الأحكام الفقهية كما أرادها الله عز وجل، وعلى رأس هؤلاء جميعاً صاحبنا الإمام الشافعي صاحب كتاب "الرسالة" الشهيرة التي هي مدونة بحثنا هذا، والذي كان أول الأصوليين في دراسة القرآن الكريم دراسة فقهية أصولية، كيف لا؟، وهو من يُعدُّ واضع علم "أصول الفقه".

وعليه، فإن إشكالية هذا البحث تحاول الإجابة على هذين السؤالين الرئيسيين:

- ما طبيعة العلاقة التي تربط علم أصول الفقه بعلوم اللغة العربية؟
- ما جهود الإمام الشافعي في مجال علم أصول الفقه وفي مجال الدراسات اللغوية؟

وتحاول - أيضاً من خلال ذلك - الإجابة عن هذه الأسئلة الفرعية:

- ✓ ما ملامح الدراسة اللغوية عند الشافعي من خلال كتابه الرسالة؟
- ✓ ما قيمة اللغة العربية عند الشافعي؟
- ✓ ما قيمة المباحث اللغوية في شرح النصوص الشرعية واستنباط الأحكام الفقهية عند الشافعي؟
- ✓ ماهي المباحث اللغوية التي تطرق إليها الشافعي في كتابه "الرسالة"؟

وقد قسّمت بحثي إلى فصلين اثنين مسبوقين بمقدمة، ومدخل، ومتبوعين بخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول، وهو فصل نظري، وفيه عرّفت علم أصول الفقه، وذكرت علاقته بعلوم اللغة وعلى رأسها علم أصول النحو.

أما الفصل الثاني، فهو فصل تطبيقي، وفيه ذكرت بعض المسائل اللغوية التي ذكرها الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة"، والتي لها علاقة وطيدة بعلم "أصول الفقه".

أما المدخل، فذكرت فيه نبذة عن حياة الإمام الشافعيّ وجهوده العلميّة، والشّرعيّة، واللّغويّة من خلال كتابه " الرّسالة " .

أما الخاتمة، فذكرت فيها جملة من النّاتج التي توصلت إليها.

وقد تناول موضوع هذه الدّراسة مجموعة من الباحثين القدامى والجدد، وبخاصّة المهتمّون منهم بعلاقة اللّغة العربيّة بالعلوم الشّرعيّة، وعلى رأسها علم التّفسير، والفقه، وعلم أصول الفقه.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي، لأنّه الأنسب والأليق لمثل هذه الدّراسات.

وقد اخترت الخوض في هذا الموضوع لجملة من الأسباب أهمّها:

- القيمة العلميّة، و اللّغويّة، والدّينيّة لمثل هذه الدّراسات، والتّعرف أكثر على العلاقة الوطيدة الموجودة بين العلوم اللّغويّة و العلوم الدّينيّة هذا من جهة، وعلى العلاقة المتينة التي تربط " علم أصول الفقه " بـ " علم أصول النّحو " .

ومن أهمّ الصّعوبات التي واجهتني أذكر منها:

- قلة المراجع والدّراسات في هذا المجال.

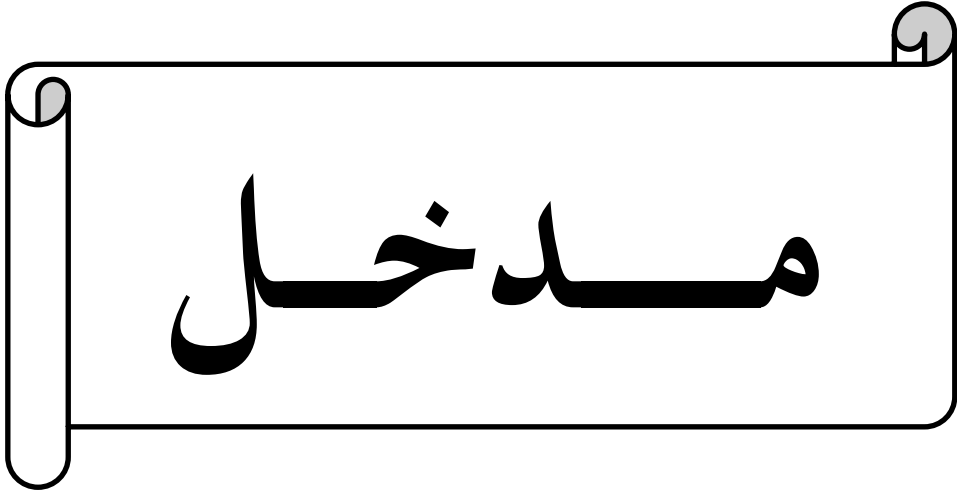
- الدقّة العلميّة التي يتّسم بها هذا الموضوع، وذلك لكونه ينتمي إلى تخصّص لغويّ وشرعيّ دقيق.

وفي الأخير أحمد الله تعالى وأشكره على أن فتح لي باب العلم، ويسّر لي الولوج فيه، وعلى توفيقه عزّ وجلّ لي للوصول إلى مرتبة " الماستر " وإنجاز هذه المذكّرة العلميّة الهادفة.

ولا يفوتني أن أتقدّم بجزيل الشّكر إلى أستاذي المشرف " الدّكتور قدور كحالة " على تحمّله عبء الإشراف عليه، وأن أشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقّرين على قبول قراءتهم لمذكرتي هذه وإبداء آراءهم

مقدمة

وملاحظاتهم العلميّة فيها، وأن أشكر - أيضا - كلّ من قدّم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.



➤ المبحث الأوّل: التعريف بالإمام الشافعيّ:

1. اسمه، وكنيته، ولقبه:

هو محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن مناف، القرشيّ المطلبيّ الشافعيّ، يجتمع مع النّبّيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في هاشم بن المطلب بن مناف بن قصيّ، وإلى جدّه شافع ينتسب الإمام الشافعيّ، وكنيته: أبو عبد الله الشافعيّ. وقد لقّبه أهل بغداد بـ " ناصر الحديث "، وهو نقل هذا القول، فقال: " سُمِّيْتُ ببغداد " ¹.

وقد ولد الإمام الشافعيّ سنة 150 هجرية، وتوفي سنة 204 هجرية، و يعني هذا أنّه ولد ومات في الصّدر الأوّل من عصر الدّولة العباسيّة. ولاشكّ أنّ الإمام الشافعيّ مثل غيره من العلماء ابن بيئته وزمانه تتأثر حياته وإبداعاته العلميّة بأحداث عصره. ²

2. مكانته العلميّة، وثناء الأئمّة عليه:

يملك الشافعيّ مكانة علمية مرموقة عند الناس وعند العلماء. يقول الإمام عبد الرحمن بن مهدي : « ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها ». وعن أبي بكر قال: حجج بشر المريسي فرجع، فقال لأصحابه رأيت شاباً من قريش بمكة ما أخاف على مذهبنا إلا منه؛ يعني الشافعي من أمة ما وسعهم عقل من وقال الإمام أحمد بن حنبل: كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهدين حلف أو منهما عوض ». وقال يونس بن عبد الأعلى: الو جمع الشافعي، وقال يحيى بن أكثم كان الشافعي

¹ - بسمة بنت حسين عباس صبان، معالم منهج البحث الفقهيّ والعلميّ عند الإمام الشافعيّ، دراسة تحليليّة بالسنة المنهجية لمرحلة الدكتوراه سنة 1439/38هـ، ص 11.

² - أكرم يوسف عمر القواسمي، مدخل إلى المذهب الشافعيّ، دار النقائس الأردن، ط1، 1433هـ 2003م، ص 25.

التعريف بالإمام الشافعي وكتابه الرسالة

رجلاً قرشي العقل والفهم والدهن صافي العقل والفهم والدماع سريع الإصابة، ولو كان أكثر سماعاً للحديث لاستغنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم به عن غيره من الفقهاء»، وقال أحمد بن أبي سريح الرازي: ما رأيت أحداً أقوه ولا أنطق الشافعي». وقال الأصمعي: أخذت شعر هذيل عن الشافعي، وقال داود بن علي الظاهري: للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره من شرف نسبه وصحة دينه ومعتقده، وسخاوة نفسه، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه، وحفظه الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف، وجودة الأصحاب والتلامذة مثل أحمد بن حنبل في زهده وورعه.¹

3. مؤلفاته:

وقد ذكر العلماء أنّ الله تعالى رزق الإمام الشافعي موهبتي الفهم والحفظ السريعين، وكان من نتاج ذلك أنّه ترك بعد وفاته الكثير من المؤلفات النفيسة في شتى العلوم والفنون، وبعضها معروف، وبعضها الآخر مفقودٌ مجهولٌ. وقد امتازت هذه المؤلفات بحسن التصنيف والتأليف، قال الإمام أبو محمد الحسن المروزي رحمه الله عنه: " قيل: إنّ الشافعي - رحمه الله - صنّف مائة وثلاثة عشر كتاباً في التفسير، والفقّه، والأدب، وغير ذلك. ومن أهمّ مؤلفاته نذكر:

أ- كتب في الفقّه وعلم أصول الفقّه:

- كتابه الشهير « الأمّ ». وما جمع فيه يُعدُّ من أهمّ كتب علم أصول الفقّه.

- كتاب « الرسالة » الشهير الذي ألفه في مصر.

- كتاب « الإملاء الصّغير ».

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، دار الكتاب العربي، ص 29.

- « الأمالي الكبرى ».

- « مختصر المريّ »، وهو مطبوع في جزء مستقلّ من آخر كتاب « الأمّ ».

- « مختصر البويطيّ »¹

_ كتاب جماع العلم.

_ كتاب إبطال الاستحسان.

- كتاب « سير الأوزاعيّ ».

ب- كتب أخرى في علوم وفنون أخرى:

- كتاب « اختلاف الأحاديث ».

- كتاب « أحكام القرآن ».

- كتاب « بيان فرض الله ».

- كتاب « صفة الأمر والنهي ».

- كتاب « اختلاف العراقيين ».

- كتاب « الردّ على محمّد بين الحسن ».

- كتاب « اختلاف مالك والشافعيّ ».

وهناك مؤلّفات أخرى كثيرة لا يتسع هذا المقام لذكرها كلّها.

¹ - المصدر نفسه، ص30.

4. شيوخه:

ومن أهمّ شيوخه نذكر:

- الإمام مالك بن أنس صاحب «الموطأ»: يروى أنّ الشافعيّ رحمه الله أقبل على العلم منذ صغره، فأخذ العلم من أكابر الشيوخ، والفقهاء، والعلماء، فتلقّى علومه الأولى في مكّة، فحفظ القرآن، وهو ابن سبع سنين، وحفظ «الموطأ»، وهو ابن عشر سنين. ويروى - أيضا - أنّه قدم على الإمام مالك، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصار يقرأ عليه من كتاب، ثمّ يعيد عليه ما قرأه من حفظه.

- إسماعيل بن قسطنطين: يروى أنّ الشافعيّ قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين الذي كان يقول: " إنّ القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من «قرأت»، لذلك أثبت في «الرّسالة» ما كان يعتمد عليه الشافعيّ عن شيخه أي: قرآن".

- سفيان بن عيينة.

- مسلم بن خالد الزنجي.

- سعيد بن سالم القداح.

- داود بن عبد الرحمن العطار.

- عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود.

- عمرو بن أبي سلمة.

وكلّهم كانوا بمكّة.

5. وفاته - رحمه الله - :

أصيب الإمام الشافعيّ - رحمه الله - في آخر عمره بمرض البواسير، واشتد عليه في آخر أيامه إلى أن توفي في آخر يوم من شهر رجب عام أربع ومائتين للهجرة النبويّة، عاش أربعًا وخمسين سنة، ترك بعده ثروة عظيمة من العلم والمؤلّفات في مختلف العلوم والفنون. قال المزني: " دخلت على الشافعيّ في عليه التي مات فيها، فقلت له: كيف أصبحت؟، فقال: أصبحت من الدُّنيا راحلا، وإخواني مفارقا، ولكأس المنية شاربا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، فلا أدري روعي تصير إلى الجنّة، فأهنيها، أم إلى النَّار".¹

¹ - بسمة بنت حسين، عباس صبان، معالم منهج البحث الفقهيّ والعلميّ عند الإمام الشافعيّ، المرجع السابق، ص 12 و13.

➤ المبحث الثّاني: التعريف بكتاب « الرّسالة »:

1. أسباب تأليف كتاب « الرّسالة »:

إنّ السبب المباشر في تأليف الشّافعيّ لكتاب « الرّسالة » هو تلبية طلب عبد الرّحمن بن المهدي، وهو من الفقهاء والمحدّثين في البصرة، قال عنه الذهبي: « الإمام، الناقد، المجود، سيّد الحفاظ... كان إماماً، حُجّة، قدوة في العلم والعمل»، فلمّا كتب عبد الرّحمن بن مهدي الى الشّافعي، وهو شاب ان يضع له كتابا في معاني القرآن، ويجمع قبول الاخبار فيه وحجية الاجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة فوضع له « الرّسالة ». فالواضح أنّ سبب تأليف كتاب « الرّسالة » كان استجابة لطلب عبد الرحمن بن المهدي، وهو سبب المباشر.

والسبب الثّاني هو رغبة الشّافعيّ في معالجة القضايا المنهجية التي اثيرت في عصره، التي كان أهمّها قضية المرجعية التشريعية التي تناولت مفهوم النصّ الشرعيّ وحدود حُجّيته، وحجّية السّنة، ومنهج التعامل مع القرآن الكريم، ومنهج التعامل مع السّنة النبوية عموما وخبر الآحاد على وجه الخصوص. ويقال: ألّف الشّافعي كتاب « الرّسالة » مرّتين، ولذلك يعدّه العلماء في فهرس مؤلفاته الكتابية « الرّسالة القديمة » و« الرّسالة الجديدة »، فالظاهر أنّ الشّافعيّ ألّفها في مكّة حين كتب إليه عبد الرّحمن بن المهدي، وهو شابّ أن يضع له كتابا في " معاني القرآن "، ويجمع قبول الاخبار فيه، وحجّة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسّنة. فوضع له كتاب « الرّسالة »، الذي كتبه في

التعريف بالإمام الشافعيّ وكتابه الرّسالة

العراق، وعلى كلّ حال، فإنّ النّسخة القديمة لكتاب « الرّسالة القديمة » قد ضاعت، وما هو موجود اليوم هو « الرّسالة الجديدة » التي ألفها في مصر.

2. مضمون كتاب « الرّسالة »:

اختصّ كتاب « الرّسالة » بقضايا الدّلالة وما تعلق بها، وأمّا الباقي، فقد جعل في الاستدلال، والقضايا الحجّية، والاجتهاد، ونحو ذلك، حيث غلبت على مضمونه القضايا اللّغويّة، والدّلائيّة، والأصوليّة، سواء منها ما عقد له باب خاصّ به، وهو أغلب ما بثّ فيه، أو ما عرض في سياق القياس والاجتهاد، لأنّه - بالدّرجة الأولى - مضمون « الرّسالة » الذي يعالج أساس مشكلة فهم كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم من حيث الدّلالة اللّغويّة، أو الدّلالة الأصوليّة، خاصّة فيما تعلق بفهم النّصّ الشرعيّ المنزل باللّغة العربيّة، قال الشّافعيّ: " فإنّما خاطب الله في كتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها"¹، وخاصّة مع التّحوّل الاجتماعيّ الذي طرأ على العرب بإسلام العجم، وخاصّة الفرس أين أدّى إلى نشأة جيلٍ، فنشأ فيه اللّحن، وضاعت منه الفصاحة نطقاً واستيعاباً، فأثر ذلك على فهم النّصّ الشرعيّ، ولذلك كان مضمون « الرّسالة » ابن المهدي للشّافعيّ تطلب أوّل ما تطلّب بيان " معاني القرآن "، كما سبق ذكره، فبادر الإمام الشّافعيّ إلى حلّ المشكلة، وإنّما أوجب عليه القيام بهذا العمل، دخول الدّخيل في لسان العرب، وامتزاج اللّغة العربيّة بلغة الاعاجم، وضعت المدارك عن فهم

¹ - الشّافعيّ، كتاب الرّسالة، المصدر السابق، ص 31.

مقاصد الشريعة بسبب ذلك...، فبذلك تمكّن من وضع قواعد تجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض.¹

وقد سعى الشافعي من خلال تأليفه كتاب « الرسالة » إلى وضع « علم أصول الفقه »، بعد تحصيل كلّ المؤهلات فطريًا بالذكاء، ودينياً بالتقوى والورع، وعلمياً بحفظ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحصيل العلوم المحيطة بهما، واتقان اللغة العربية. قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: " الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: اللغة، واختلاف الناس، والمعاني، والفقه ".²

3. مرتكزات كتاب « الرسالة »:

هذه المرتكزات هي:

أ- العلم: أكد الإمام الشافعي على أنّ العلم لا ينهض، ولا يستقرّ إلّا على شيء واحد، وهو أنّه لا بدّ أن يكون هذا الشيء خيراً صادقاً لا خلاف فيه، ولا يقوم مقامه في صحّة الاعتماد إلّا المشاهدة والعيان، وما عدا ذلك، فهو باطل ووهم. ونجد الشافعي يكرّر هذه القاعدة العلميّة في كتاب « الرسالة »، فيقول: " وإذا كان هذا هكذا، كان على العالم أن لا يقول إلّا من جهة العلم، وجهة العلم الخبر اللازم والقياس بالدلائل على الصواب، حتّى يكون صاحب العلم أبداً متّبعا خيراً، أو طالباً الخبر بالقياس ".³

¹ - محمد بن الحسن بن العربي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1990م، ص403.

² - البيهقي، مناقب الشافعي، دار التراث، قسم الشافعي، القاهرة، مصر، 2006، ج 2، ص 41.

³ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 504.

التعريف بالإمام الشافعيّ وكتابه الرّسالة

ب- البيان: يعني به: القواعد العربيّة والمصطلحات التعبيريّة التي أصبحت أداة لفهم الكلام العربيّ، ووسيلة للكشف عمّا يعنيه المتكلّم من خطابه الذي يواجهه به السّامعين، في وقت لم يكون العرب يحصون هذه القواعد، ولا يحفظونها، ولكنّهم كانوا يتعاملون بها فيما بينهم بالسّليقة دونما الحاجة إلى حفظ العناوين، والقواعد، والمصطلحات، وكذلك انضباطهم ببحور الشّعر وأوزانه، دون أن يقعوا في أيّ خلل أو الشّروء عنها، أدركهم من تسرّب العجّمة إلى ألسنتهم، وتسرّب الفساد إلى أذواقهم، واستلاء الخلل الفكريّ على أذهانهم، الفوا أنفسهم بحاجة إلى مثل أبي الأسود الدؤليّ لتدوين قواعد الإعراب، وإلى مثل الخليل بن أحمد الفراهيديّ لضبط موازين الشّعر، وإلى مثل الإمام الشّافعيّ لتدوين أصول المعرفة، ورسم القواعد المتّبعة في تفسير النّصوص.

ج- القياس: وهو المنهج المعتمد لدى اصول الفقه وعلماء الكلام وهو منهج يوصل إلى اليقين إذا تتبّعنا فيه أحكام الشّرع من خلال نصوص القرآن والسّنة تتبّعاً تامّاً، بالاعتماد على الاستقراء، لأن استقراء هذه النّصوص مع التأمّل في مضمونها ودلالاتها يوصل الباحث إلى يقين بأن سائر الأحكام الشّرعية قائمة على رعاية مصالح العباد. والمهمّ في ذلك أنّ القياس الأصوليّ الذي كان الامام الشّافعيّ أوّل من أقام الجسور المنطقيّة والعلميّة بينه وبين نصّ إلى درجة أنّه برهن أكثر من مرّة على أنّ القياس داخل في معنى النّصّ. وهذا نوع من القياس هو الذي أصبح فيما بعد معتمد المعرفة الإنسانيّة.

فصل أول - نظري -

** علماء الأصول وجهودهم اللّغوية **

➤ المبحث الأول: تعريف علم الأصول:

1. في اللغة: يراد به التأثيل، والتأسيس، وهو مصدر الفعل أصّل، و"الأصل اسفل كل شيء وجمعه أصول لا يكسر على غير ذلك، وهو الأصول. يقال الأصل مؤصل (...)، ورجل أصيل له أصل، ورأي أصيل: له أصل، ورجل أصيل: ثابت الرأي، عاقل (...). وقولهم: لا أصل له، ولأفضل بالأصل: الحسب، والفصل اللسان"¹، لأنه يفصل الخطاب بأساليب شتى، وأصل الشيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه²، لذلك قال الله تعالى: «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء» (ابراهيم 24)³، وبين عمق الأرض وعلو السماء يكون الاستقرار، الاستواء، والثبات بإذنه تعالى.

« والأصول من حيث أنها مبني وأساس لفرعها سميت قواعد، ومن حيث إنها مسالك واضحة إليها سميت مناهج، ومن حيث أنها علامات لها سميت اعلاما، والأصول تتحمل ما لا تتحمله الفروع»⁴ لأن طبيعتها تؤهلها لذلك.

2. في الاصطلاح: « يستعمل في الأصول بمعنى كل ما له فرع كالصلاة لها فرع هو السجود أو الركوع، ويعبرون به عن معنى الطريق الى الشيء، كالكتاب: أصل الأحكام، وكذلك يطلقونه على أصل

¹ - جمال الدين أبو فضل، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج2، تج عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، د.ط، مادة (أ.ص.ل).

² - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تج صفوان عدنان داودي، دار التعلّم، سوريا، ط4، 2009م، ص 79.

³ - سورة ابراهيم الآية 24.

⁴ - أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998م، ط2، ص 122.

القياس»¹ لأنه يستند الى المنطق العقل ويستدرك أحكامه ومن تم القرآن الكريم هو الأصل الذي دارت عليه أبحاث الأصوليين، وأداتهم في ذلك اللغة (لغته) العربية الشريفة صاحبة البيان، الموصلة للبرهان.

○ المراد بالأصوليين:

الأصوليون: جمع أصولي، والأصولي منسوب إلى الأصول، وصحّت النسبة إلى لفظ الجمع لأنه قد أصبح علما على علم خاص " وهو علم أصول الفقه، كما نسبوا أنصاري إلى أنصار. والأصولي هو العارف بالقواعد الأصولية الفاهم لها، ولا يشترط معرفته بجميع القواعد الأصولية، ولا القدرة على تطبيقها، بل العارف لجملة غالبية من هذه القواعد يصح أن يطلق عليه ذلك الوصف.²

➤ المبحث الثاني: أشهر علماء الأصول قديما وحديثا:

1. العلماء الذين لهم إسهام في علم أصول الفقه قديما:

هم كثيرون جدّا، منهم:

أ- إبراهيم بن طاهر بن أحمد العظم: شاعر، حقوقيّ محام، تولى أوقافَ حمّاء وحلب، ثم كان قاضيا استثنائيًا بدمشق. ولد في حمّاء سنة 1321هـ، وتوفّي بدمشق سنة 1377هـ. من آثاره شعرٌ متفرّق. من مؤلفاته الأصوليّة: " اختصار الموافقات للشاطبيّ "، والكتاب يقع في جزأين، ولا يزال مخطوطًا.

¹ - علي الأمدى، أحكام في أصول الأحكام، دار الصمعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ج1، 2003م، ص 21.

² - ماجد بن عبد الله، استدلال الأصوليين في اللغة العربية، دراسة تأصيلية تطبيقية، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، المجلد الثالث السعودية، سنة 2011، ص 17.

ب- الشيخ أحمد إبراهيم بك الحسيني: أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد، ثم كان عضوًا في مجلس جامعة القاهرة، وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي لجان تعديل قانون الأحوال الشخصية.

وُلد في القاهرة سنة 1291هـ، وتُوفي بها سنة 1364هـ. من مؤلفاته: "النفقات"، والوصايا"، وطرق الإثبات الشرعية"، وطرق القضاء". ومن مؤلفاته الأصولية "علم أصول الفقه"، وهي مذكرة موجزة لطلاب كلية الحقوق بالجامعة المصرية، وقد طُبِع الكتاب بالقاهرة سنة 1357هـ في (173) صفحة، وملاحقه "تاريخ التشريع الإسلامي"؛ للمؤلف في (50) صفحة.

ج- الشيخ أحمد بن أحمد بن يوسف الحسيني: فقيه شافعي، أصولي، محام. وُلد سنة 1271هـ بالقاهرة، وتوفي بها سنة 1332هـ. من مؤلفاته "نهاية الأحكام في بيان ما للنية من أحكام"، و" دليل المسافر في مسائل قصر الصلاة والمسافات"، و" بهجة المشتاق في بيان زكاة أموال الأوراق". ومن مؤلفاته الأصولية "تحفة الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد" طبع في القاهرة عام 1326هـ.

د- الشيخ أحمد بن حسين أبو الفتح: أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بالجامعة المصرية، وعضو مجلس النواب المصري، وُلد بالشهداء بمصر، عام 1283هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 1365هـ. ومن مؤلفاته: "المعاملات في الشريعة الإسلامية"، و"مختصر المعاملات". ومن مؤلفاته الأصولية: المختارات الفتحية في تاريخ التشريع الإسلامي وأصول الفقه: طبع بالقاهرة عام 1340هـ. وتاريخ التشريع الإسلامي.

ر- الشيخ أحمد حمد الله بن إسماعيل حامد الأنقروي: فقيهٌ حنفي، أحدُ أعضاء مجلس التدقيقات الشرعيّة.

وُلد سنة 1225هـ، وتوفيَّ سنة 1317هـ. من مؤلفاته: "تذكرة المشتقات"، و"مرآة المرافعين في مسائل الفتاوى". من مؤلفاته الأصولية: مضبطة الفنون حاشية على مرآة الأصول.

ز- الشيخ أحمد حمدي أفندي: لعله الشرواني، توفيَّ سنة 1307هـ. من مؤلفاته: "خلاصة الفرائض".

من مؤلفاته الأصولية: مختصر أصول الفقه طبع في إسطنبول عام 1301هـ.

س- الشيخ أحمد الخطيب: فقيه شافعي، توفيَّ بمكّة سنة 1326هـ. من مؤلفاته: "صلح الجماعتين بجواز تعدّد الجمعتين"، و"إقناع النفوس بإلحاق أوراق الأنوات بعملة الفلوس"، و"روضة الحساب". من مؤلفاته الأصولية: "حاشية النعمات على شرح الورقات".

وقد طُبعت في الميمنية بالقاهرة عام 1323هـ في 174 صفحة.

كما طُبعت بهامش شرح المحلّي بالقاهرة عام 1357هـ.

ش- الشيخ أحمد عباس بن سليمان الأزهري: منشئ الكلية الإسلاميّة ببيروت، ثم نُفي إلى القسطنطينية. وُلد ببيروت عام 1270هـ، وتوفيَّ بها عام 1345هـ. من مؤلفاته: "تاريخ آداب اللغة العربية".

مؤلفاته الأصولية: ألف كتابًا مدرسيًا في أصول الفقه.

ص- الشيخ أحمد فهمي أبو سنة: من مؤلفاته الأصولية: "العرف والعادة في رأي الفقهاء"، عرض نظرية في التشريع الإسلامي وهي رسالة دكتوراه من الجامع الأزهر عام 1361هـ. وطُبعت الطبعة الثانية في القاهرة عام 1367هـ. "الوسيط في أصول فقه الحنيفة": وهو عرض لبحوث القسم الثاني من كتاب التوضيح لصدر الشريعة. طُبِعَ بالقاهرة عام 1374هـ. فقيهٌ نُعويٌّ، درّس في الكلية الصلاحية بالقدس، ثم أصبح عضوًا لجنة الترجمة والتأليف، ثم درّس علمَ الأصول في معهد الحقوق العربي بدمشق، وأشرف على مدارس الفلاح. وُلِدَ في دمشق عام 1273هـ، وتوفي بها عام 1355هـ. من مؤلفاته: "علوم القرآن وأصوله"، و"رسالة في تاريخ القدس". من مؤلفاته الأصولية: تسهيل الحصول على قواعد الأصول: وهي رسالة تشتمل على قواعد وضوابط في علم الأصول، تبتدئ بمقدمة في مبادئ العلم، تليها سبع مقالات في صُلبه، وخاتمة في العقائد. وقد طبع الكتاب بدمشق عام 1412هـ في (269) صفحة.

ض- الشيخ أمين بن محمد بن سليمان البسيوني الشيخ: فقيهٌ حنفي، محدث، تولى التدريس بالأزهر، كان عضوًا في جماعة كبار العلماء، ولد سنة 1298هـ ببسيون بمصر، وتوفي سنة 1362هـ. من مؤلفاته: "الأسلوب الحديث في علوم الحديث" و "زهرة الفوائد على متن العقائد" و "إزالة الالتباس عن مسائل القياس".

ط- الشيخ أبو بكر بن عبدالرحمن الحسيني الحضرمي: فقيهٌ شافعي، ناظم، فَرَضِي، وُلِدَ بحصن آل فلوقة بحضرموت عام 1262هـ، وتوفي في حيدر آباد الدكن بالهند عام 1341هـ. من مؤلفاته:

"منظومة حدائق ذريعة الناهض إلى تعلم أحكام الفرائض" و "إسعاف الطلاب ببيان مساحة السطوح". من مؤلفاته الأصولية: "الترياق النافع بإيضاح جمع الجوامع" في جزأين. طبع بمجلس دائرة المعارف بجيدر آباد الهند عام 1317هـ.

ظ- الشيخ جاد المولى سليمان: تولى بعض الوظائف المتعلقة بالمساجد والأوقاف بمصر، وإدارة الإرشاد، وتحرير منبر الإسلام، وُلِدَ بالقاهرة عام 1316هـ. من مؤلفاته الأصولية: "فصول في أصول التشريع الإسلامي" طبع بالقاهرة عام 1368هـ.

ع- الشيخ جمال الدين بن سعيد القاسمي: محدث، فقيه، أصولي، تولى إمامة جامع العناية، ثم جامع سنان بدمشق. وُلِدَ بدمشق عام 1283هـ، وتوفي سنة 1332هـ. من مؤلفاته: "إرشاد الخلق إلى العمل بخير البرق" و "الارتفاق بمسائل الطلاق" و "إصلاح المساجد من البدع والعوائد" و "تاريخ الجهمية والمعتزلة"، وغيرها كثير. نشر عددًا من الوسائل الأصولية، وعلّق عليها، فنشر عام 1324هـ ببيروت أربع رسائل في الأصول، ونشر أربعًا أخرى في دمشق عام 1323هـ، وثلاثًا أخرى في دمشق عام 1331هـ. من مؤلفاته الأصولية: "تعليقات على حصول المأمول لصديق حسن خان" و "تعليقات على مختصر المنار لابن الحلبي" طبعت ضمن مجموع متون أصولية بدمشق عام 1324هـ. "الطالب إلى معرفة الفرض والواجب" طبع في مصر عام 1326هـ. "شرح مختصر المستصفي لابن رشيق" و "الموفي في النحو الكوفي" و "كشف الغمة عن افتراق الأمة" و "تاريخ دول الإسلام" و "أنساب الأوائل". ومن مؤلفاته الأصولية: "الذريعة إلى علم الشريعة" وهو كتاب في أصول الفقه، ألفه باللغة التركية.

غ- الشيخ عبدالقادر بن محمد سليم الكيلاني الإسكندراني: فقيه، درس بالجامع الأموي، وشارك في أعمال جمعية العلماء. وُلِدَ بالإسكندرية، ونشأ في دمشق، وتوفيَّ بها سنة 1362هـ. من مؤلفاته: "مورد الصفا في شمائل المصطفى" و "صفوة الخطاب في الرد على أعداء الحجاب" و "الجواهر المعروض في علم العروض" و "الترصيع في علم المعاني والبيان والبديع". من مؤلفاته الأصولية "معراج الوصول في مبادئ علم الأصول" طبع بدمشق عام 1352هـ. و "نهج الرشاد في الرد على مدعي الاجتهاد" طبع بدمشق عام 1352هـ.¹

ف- الشيخ عبدالله بن عبدالقادر الحلبي الشهير بسُلطان: فقيه، حنفي. وُلِدَ سنة 1260هـ، وتوفي سنة 1324هـ. من مؤلفاته: "مجموع في علم الحديث" و "مجموع في تعاريف الفلسفة الطبيعية والمنطق"، و "شرح على متن الإظهار". من مؤلفاته الأصولية: "تقريرات على حاشية نسمات الأسحار على شرح المنار".

ق- الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ: فقيه حنبلي، تولى الإفتاء بالديار النجدية، وخطابة الجامع الكبير بالرياض. وُلِدَ سنة 1265هـ بالأحساء، وتوفيَّ في الرياض عام 1339هـ. من مؤلفاته "الأصولية": كراسة صغيرة الحجم للإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، عندما كان صغيراً؛ لتعليمه أصول الفقه والتوحيد.

ن- الشيخ عبدالله بن عودة القدومي: فقيه حنبلي، محدث. ولد في قدوم بفلسطين عام 1246هـ، وتوفيَّ في نابلس عام 1331هـ. من مؤلفاته: "هدية الراغب وكفاية الطالب" و "هدية الزمن في ترتيب

¹ - شبكة الألوكة الإسلامية والثقافية والفكرية الشاملة تحت إشراف الدكتور سعد بن عبد الله الحميد.

أبواب البخاري" و " المنهج الأحمد في درء المثالب عن مذهب أحمد"، "الرحلة الحجازية". من مؤلفاته الأصولية: "بغية النُّسَّاك والعبَّاد في البحث عن ماهية الصلاح والفساد".¹

2. العلماء الذين لهم إسهام في علم أصول الفقه حديثاً:

هم كثيرون، منهم:

أ- الشيخ العلامة الجبل فحل الفحول "يعقوب عبد الوهاب الباحثين" -حفظه الله-: له مصنّفات أصولية بديعة: "مدخل إلى أصول الفقه". مطبعة حداد بالبصرة، عام 1968م، و "رفع الحرج في الشريعة الإسلامية" (رسالة دكتوراه). طبعة دار النشر الدولي بالرياض، 1416هـ، و "أصول الفقه: الحد والموضوع والغاية". طبعة مكتبة الرشد بالرياض، 1408هـ / 1988م، و "التخريج عند الفقهاء والأصوليين": دراسة نظرية، تطبيقية، تأصيلية. طبعة مكتبة الرشد بالرياض، 1414هـ.، و "قاعدة اليقين لا يزول بالشك": دراسة نظرية، تأصيلية، تطبيقية. طبعة مكتبة الرشد بالرياض، عام 1416هـ / 1996م، و "القواعد الفقهية": (المبادئ، المقومات، المصادر، الدليلية، التطور): دراسة نظرية، تحليلية، تأصيلية، تاريخية. طبعة مكتبة الرشد بالرياض، عام 1418هـ / 1998م، و "الفروق الفقهية والأصولية": (مقوماتها، شروطها، نشأتها، تطورها): دراسة نظرية وصفية. طبعة مكتبة الرشد بالرياض، عام 1419هـ / 1998م²، و "قاعدة الأمور بمقاصدها": دراسة نظرية، تأصيلية. طبعة مكتبة الرشد بالرياض، عام 1419هـ / 1998م، و "طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطق والأصوليين". طبعة

¹ - شبكة الألوكة الإسلامية والثقافية والفكرية الشاملة تحت اشراف الدكتور سعد بن عبد الله الحميد.

² - المرجع نفسه.

مكتبة الرشد بالرياض، عام 1421هـ / 2000م، و "قاعدة العادة مُحَكِّمة": دراسة نظرية، تأصيلية، تطبيقية. طبعة مكتبة الرشد بالرياض، عام 1423هـ / 2002م.

"نظرية القسامة في الفقه الإسلامي": بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، سنة 1980م، و "أصول الفقه: تدوينه وتطوره": بحث منشور في مجلة هيئة القانون والاقتصاد، جامعة البصرة، سنة 1970م، وفي مجلة البحوث الفقهية المعاصرة: السنة الرابعة عشرة، العدد السادس والخمسون، عام 1423هـ،

و "التفسير العلمي وآراء العلماء فيه": بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة البصرة، العدد 6، سنة 1981م، وآخر عمل علميٍ تحصّل على جائزة الملك فيصل التقديرية لجهوده في خدمة علم أصول.

ب- الشيخ الأصولي "عبد الكريم النملة": الذي من كتبه الأصولية التي وقفت عليها:

- إتحاف ذوي البصائر شرح روضة الناظر طبع في أربع مجلدات بمكتبة الرشد.
- أقلّ الجمع عند الأصوليين وأثر الاختلاف فيه، طبع بمجلد واحد في مكتبة الرشد.
- المهذب في علم أصول الفقه المقارن (تأليف) طبع في خمس مجلدات بمكتبة الرشد.
- الواجب الموسع عند الأصوليين (تأليف) طبع في مجلد بمكتبة الرشد.
- الخلاف اللفظي عند الأصوليين (تأليف) طبع في مجلدين بمكتبة الرشد.
- الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقها على المذهب الراجح (تأليف) طبع في مجلد بمكتبة الرشد.
- مخالفة الصحابي للحديث النبوي الشريف (تأليف) طبع في مجلد بمكتبة الرشد.
- الإمام في مسألة تكليف الكفار بفروع الإسلام (تأليف) طبع في غلاف بمكتبة الرشد.

- الرخص الشرعية وإثباتها بالقياس (تأليف) طبع في مجلد بمكتبة الرشد.
- إثبات العقوبات بالقياس (تأليف) طبع في غلاف بمكتبة الرشد.
- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (تحقيق وتعليق) طبع في ثلاث مجلدات بمكتبة الرشد.
- شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه للأصفهاني (تحقيق وتعليق) طبع في مجلدين بمكتبة الرشد.
- الأنجم الزاهرات في حل ألفاظ الورقات للماردين (تحقيق وتعليق) طبع في مجلد بمكتبة الرشد.
- الضياء اللامع شرح جمع الجوامع طبع وصدر منه المجلد الأول والثاني بمكتبة الرشد وله شروحات صوتيه مما وقفت عليه منها : شرح روضة الناظر وشرح الورقات.
- ج- الشيخ الأصولي سعد بن ناصر الشثري: عضو هيئة كبار العلماء الذي له شروحات متميزة في

أصول الفقه مثل:

- الأصول والفروع حقيقتهما والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما
- القطع والظن عند الأصوليين
- المصلحة عند الحنابلة.
- قواعد الاستدلال بالإجماع.
- مقاصد الشريعة في المحافظة على ضرورة العرض ووسائلها من خلال محاربة الشائعات.¹

¹ - شبكة الألوكة الإسلامية والثقافية والفكرية الشاملة تحت اشراف الدكتور سعد بن عبد الله الحميد.

➤ المبحث الثالث: علماء أصول الفقه واللغة العربية:

1. اهتمام الأصوليين بدراسة اللغة العربية:

لقد اهتم علماء أصول الفقه اهتماما كبيرا بدراسة اللغة العربية، بغية الإحاطة بسننها، وقوانينها، وخصائصها، وعلومها، لما لذلك كله في فهم آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد عبّر الزركشي عن براعة الأصوليين في اللغة العربية وعلومها، والذين أصبح الكثير منهم من علماء اللغة العربية وفقهائها الكبار، بل برعوا في ذلك، وفاقوا اللغويين المختصين في النظر في ظواهرها، وفي سبر أغوارها، وكشف أسرارها، وفي استنباط قواعدها وقوانينها، فقال: « فإنّ الأصوليين قد دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم تصل إليها النحاة ولا اللغويون ». ¹

2. أهمية اللغة العربية في منظور الأصوليين:

لقد كان من أول الأصوليين تأليفاً وتدويناً، وأسبقهم بياناً لأهمية اللغة العربية، إنما هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه الرسالة، والذي يعتبره المتكلمون من الأصوليين أول مُدوّن في هذا العلم، وفيه يقول: « وإيّها بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقتها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها ». ² ، أيضاً ، قوله: « ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ». ومما أثبتته في أهمية اللغة العربية، في كتابه الرسالة أيضاً ، قوله « ولسان العرب

¹ - عبد الله البشير محمد، اللغة العربية في منظور الأصوليين، دار الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، الإمارات المتحدة، 2008، ص 77.

² - المرجع نفسه، ص 15.

أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكن لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه». ثم ينهي اعتباره للغة بقوله : « فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ».¹

على أنه لم يكتف في بيانه لأهميتها في منظور الأصوليين، بما تقدم إثباته، إذ يقول : « والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، ولا نعلم رجلاً جمع السنن، فلم يذهب عليه شيء منها ».² ولعل في بيان الشاطبي في كتابه الموافقات ، ما يزيل اللبس العالق بمدى أهمية اللغة العربية عند الأصوليين، إذ يقول في معرض بيانه لقصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام، والذي هو النوع الثاني من مقاصد الشريعة في فكر الشاطبي: « إن هذه الشريعة المباركة عربية ... ». ثم قال: « فطلب فهمه أي القرآن إنما يكون من هذا الطريق خاصة ... »، ثم قال: « فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة ».³

فإنّ الأصوليين دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم تصل إليها النحاة ولا اللغويون ، فإنّ كلام العرب متسع والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصولي باستقراء زائد على استقراء اللغوي، ومثل له بدلالة صيغة (افعل) على الوجوب، ولا تفعل على التحريم ، وكون (كل) وأخواتها للعموم ، ونحوه مما نص هذا السؤال على كونه من اللغة، لو فتشت لم تجد فيها شيئاً من ذلك غالباً ، وكذلك في كتب النحاة في الاستثناء من أن الإخراج قبل

¹ - عبد الله البشير محمّد، اللغة العربية في منظور الأصوليين، المرجع السابق ص 16.

² - المرجع نفسه، ص 16.

³ - المرجع نفسه، ص 17.

الحكم أو بعده ، وغير ذلك من الدقائق التي تعرّض لها الأصوليون وأخذوها من كلام العرب باستقراء خاص وأدلة خاصة لا تقتديها صناعة النحو.¹ على أن هذا الاهتمام الأصولي بالمسائل اللغوية ليس مستغرباً، إذ قد استقر عند المؤرخين ذلك العمق اللغوي الذي وصل إليه أئمة التأليف الأصولي، كابن الحاجب والذي تضافرت فيه وعنه المنقول بإمامته في اللغة، وفيه قال الذهبي: كان من أذكى العالم، ورأساً في العربية و علم النظر .. وخالف النحاة في مسائل دقيقة، وأورد عليهم إشكالات مفحمة وكأبي بكر الباقلاني صاحب كتاب إعجاز القرآن ، والذي قال عنه رجال البلاغة : إنه لم يؤلف مثله في مصنفات الفن.²

➤ المبحث الرابع: أثر اللغة العربية في العلوم الشرعيّة:

ارتبطت العلوم الشرعية من تفسير، فقه، وأصول فقه، وقراءات القرآن الكريم باعتباره المصدر الأوّل لها وكذلك العلوم اللغويّة من أصوات، و صرفيّ، ونحو، ودلالة. لقد كانت هذه العلوم بداية تأسيسها القرآن الكريم، وكل هذه العلوم مرتبطة في ما بينها، وكل علم قائم بذاته، كعلم النحو وعلم التفسير وأخيراً علم المصطلح الحديث. درس علماء العربية اللغة من خلال فهم الأحكام القرآن الكريم وحرص عليها وكذلك باعتبارها لغتهم لاحتوائها على عقائد وأحكام القرآن، وهدف من هذا حفظ الكتاب اللّهُ من اللحن وحسن قراءته وفهمه ونطقه وكتابته، وكان ذلك بوضع علامات التحول بين الكلمة في القرآن وبين تلاوتها. ولقد

¹ - عبد الله البشير محمّد، اللّغة العربيّة في منظور الأصوليين، المرجع السابق، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 12.

جاءت محاولة من قبل أبو الأسود الدؤلي باعتباره واحد من علماء اللغة العربية وذلك بوضعه نقاط على

الحروف متماثلة في الرسم لتجنب الخطأ في تشكيل الحروف وتلاوة، وكل هذا لتلاوة صحيحة للقرآن.

وبين شتى العلوم الشرعية واللغة العربية وغيرها من العلوم الاخرى نجد هناك علاقة تأثير وتأثر.¹

أنزل الله جلّ وعلا كتابه الكريم بلغة العرب وبين العرب، فكانت معاني ألفاظه موافقة لمعاني ألفاظ

العرب، وظاهره موافق لظاهر كلامهم ولهذا لا بد لفهمه وتفسيره ومعرفة حكمه وأسراه ومقاصده من

إتباع أساليب العرب في التكلم والتخاطب قال الشاطبي: "لا بد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأميين

وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه

في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه وقال عندما كان

يتحدث عن ضوابط التفسير، وما يجب على المفسر للقرآن العلم به وإتباعه: "ومن ذلك معرفة عادات

العرب في أقوالها وأفعالها وجاري أحوالها، وإن لم يكن ثم سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم

القرآن منه، وإلا وقع في والا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها، إلا بهذه المعرفة وهذا

ما أكده ابن تيمية بقوله: "الواجب أن تعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة، وما كان

الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطهم الله ورسوله،

لا بما حدث بعد ذلك " ².

¹ - سعد خليفة العيار، العلاقة التبادلية بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية، بن غازي، 2022م،

ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 36.

ولهذا نلاحظ أن المفسرين دأبوا على إتقان اللغة العربية ، لأنها مفتاح فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واستنباط الأحكام الشرعية من نصوصهما، ولهذا فإن كل الذين تصدوا للتعريف من العلماء صدّروا تفاسيرهم بمقدمات، أبانوا فيها عن أهمية اللغة العربية لمن يريد أن يتصدى لتفسير القرآن. فمثلا ذكر السيوطي في "الإتقان" أن على المفسر أن يكون قبل البدء في التفسير على إلمام بخمسة عشر علماً، أولها: علم اللغة العربية، لأن بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، وثانها علم النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد لهذا من اعتباره، وثالثها: علم الصرف، لأن به تُعرف الأبنية والصيغ وهذا الاهتمام باللغة العربية مرجعه أن لها تأثيرها على الأحكام الشرعية.¹

➤ المبحث الخامس: علاقة علم أصول النحو بعلم أصول الفقه:

1. تعريف علم أصول النحو:

هو العلم الذي يهتم بدراسة الأصول الكلية في المجال النحوي، بينما علم النحو لا يهتم إلاّ بدراسة المسائل الجزئية فيه. وبمعنى آخر، فإنّ النحويّ يهتمّ بالمسائل الجزئية في النحو مثله مثل الفقيه في علوم الشريعة الإسلامية، بينما عالم أصول النحو لا يهتمّ في النحو إلاّ بالمسائل الكلية مثله مثل عالم أصول الفقه. وقد عرّف الإمام جلال الدين السيوطي علم أصول النحو بأنّه: " العلم الذي يعرف به أدلّة النحو أو العلم الذي يعرف به القياس وتركيبه وأقسامه من قياس العلة، وقياس الشبه، وقياس الطرد، وإلى غير ذلك على حدّ أصول الفقه، فإنّ بينهما من المناسبة (المشابهة) ما لا خفاء به، لأنّ النحو معقول من منقول، كما أنّ الفقه معقول من منقول أيضا ". وعرّف ابن الأنباري قبل ذلك في كتابه

¹ - سعد خليفة العيار، العلاقة التبادلية بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة، المرجع السابق، ص 37.

(لَمْعُ الْأَدَلَّةِ فِي أَصُولِ النَّحْوِ) بآته: " العلم الذي يتناول الأدلة النحوية التي تم تحليلها في فروع النحو وأصوله، كما أن (أصول الفقه): أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملتها وتفصيله "، وعرفه آخرون بقولهم: " أصول النحو علمٌ يُبْحَثُ فيه عن أدلة النحو الإجمالية مؤنٌ حيثُ هي أدلته، وكيفية الاستدلال وحال المستدل " . وعرفه آخرون أيضا بقولهم: " علم أصول النحو هي أدلته التي تفرعت منها فروعُه وفصولُه، كما أن أدلة (الفقه) هي التي تنوعت منها جملته وتفصيله " . ولقد عرف الفقيه محمد الحضري في كتابيه (أصول الفقه) و (علم أصول الفقه) بأن علم الأصول هو " علم يبحث في قواعد معينة، يتم فيه استنباط الأحكام الفرعية الخاصة بذلك العلم " . وذكر علماء أصول النحو - وعلى رأسهم ابن الأنباري وجمال الدين السيوطي - فائدة علم أصول النحو بقولهم: " هو التعميل في إثبات الحكم على الحجّة، والتعليل، والارتفاع من حضيض التقليد إلى يَفَاعِ الاطّلاعِ على الدليل، فغنّ المخلد (الرّاكن أو النازل) إلى التقليد لا يعرف وَجَهَ الخطأ من الصّواب، ولا ينفك - غالبًا - عن ارتياب¹ " .

كما تكمن أهمية (علم أصول النحو) في كونه الأساس الذي بُني عليه (علم النحو)، فعلم النحو منذ بداية نشأته كان قد وُضع بناءً على قواعد وأسس اعتمدها العلماء بعد دراستها وتحليلها، ثم ساروا عليها وألزموا من بعدهم بها، فالعالم بأصول النحو المتمثل بأدلته التفصيلية سيكون عالماً بالضرورة بالأحكام النحوية الفرعية، وما كان علم أصول النحو موجوداً إلا ليقوم بتهديب علم النحو وفروعه وأصوله، والحكم على صحّة ما يجوز من الأحكام الفرعية بالاستعانة بمرجع أصليّ أساسي، فهذا العلم

¹ - ابن الأنباري، لمع الأدلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، د.ت.، ص80، والسيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص31 و32، و التّوائي بن التّوائي، محاضرات في أصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، الربويع، الجزائر، 2008، ص11، وما بعدها.

يُمْكِنُ العالم فيه من إصدار الأحكام بناء على بصيرة ودلائل راسخة. ولقد ظهر (علم النحو) بعد ظهور (الفقه)، كما ظهر (علم أصول النحو) - هو الآخر - بعد ظهور (علم أصول الفقه)¹.

2. تعريف أصول الفقه:

إنّ (علم أصول الفقه) يختلف عن (الفقه)، لأنّ (الفقه) يُعرّف - اصطلاحاً - بأنه " العلم الذي يبحث في معرفة الأحكام الشرعيّة العمليّة المكتسبة من أدلّتها التفصيليّة (الجزئية أو الفرعية) " أو " هو العلم بأحكام الأفعال الشرعيّة، كالحلِّ، والحزيمة، والصّحة، والفساد، ونحوها، فلا يُطلق اسم (الفقيه) على مُتكلِّمٍ، ولا مُحدّثٍ، ولا مُفسِّرٍ، ولا نُحويٍّ ". وقيل: " موضوع علم (أصول الفقه) هو " البحث في الأدلّة الشرعيّة الموصلة إلى الأحكام المبحوث فيه، وأقسامها، واختلاف مراتبها، وكيفية استثمار الأحكام الشرعيّة منها على وجهٍ كُلِّيٍّ، ويستمدّ (أصول الفقه) ويستفيد من علومٍ كثيرة، كعلم الكلام، وعلوم اللّغة العربيّة، والأحكام الشرعيّة، وغاية هذا العلم هي معرفة الأحكام الشرعيّة التي هي مناط السعادة في الدّنيا والآخرة ". وذهب أكثر أهل العلم إلى أنّ الإمام محمّد بن إدريس الشافعيّ (ت204هـ) هو أوّل من وضع كتاباً مستقلاً في (أصول الفقه) سمّاه (كتاب الرّسالة)².

3. الفرق بين (الفقه) و(أصول الفقه):

الفرق بين (الفقه) و (علم أصول الفقه) يكمن في كون أنّ (أصول الفقه) هو المنهاج الذي تُحرى وتبيّن الطّريق الذي يلزمه الفقيه في استخراج الأحكام من أدلّتها (أصولها وقواعدها الكلّيّة)،

¹ - المرجع نفسه، ص11، وما بعدها.

² - الشافعيّ، كتاب الرّسالة، المصدر السابق، ص 23.

ويرتّب الأدلّة من حيث قوّتها، فيقدّم القرآن الكريم على السنّة النبويّة الشريفة، ويقدم السنّة النبويّة الشريفة على القياس، وسائر الأدلّة التي تقوم على النصوص مباشرة. أمّا (الفقه)، فهو " استخراج الأحكام مع التقيّد بهذه المناهج ". وقيل: " الفرق بين (الفقه) و (أصول الفقه) يكمن في كون " أنّ الخلاف في (الفقه) مشتمل على أدلّة الأحكام، لكن من حيث التفصيل، كدلالة حديث خاصّ على مسألة التّكاح بلا وليّ، والأصوليّ لا يعترض فيها لآحاد المسائل إلّا على طريق ضرب المثال، كقولنا: الأمر يقتضي الوجوب، ونحوه. فهذا يُخالف (أصول الفقه) فرعه (الفقه). ونظر الأصوليّ في وجوه دلالة الأدلّة السّميّة على الأحكام الشّرعية، والمقصود اقتباس الأحكام من الأدلّة ". وقيل: " (علم أصول الفقه) هو بخلاف (الفقه)، لأنّه - عند الأصوليين - هو ما يُبنى عليه (الفقه)، وهو الذي عرّفه كمال الدّين بن الهمام في (التّحرير) بقوله: " إنّه إدراك القواعد التي يتوصّل بها إلى استنباط (الفقه)، وعرّفه ابن قدامة المقدسيّ بقوله: " أصول الفقه: أدلّته الدّالة عليه من حيث الجملة، لا من حيث التفصيل ". والأصوليّ " هو العالم بالأدلّة الإجماليّة، وبطرق استنباط الأحكام منها ". وقيل: (الفقه) يهتمّ باستخراج الأحكام الجزئية العمليّة من الأدلّة. أمّا (أصول الفقه)، فيهتمّ باستخراج الأحكام الكلّيّة من الأدلّة، وبطرق الاستنباط منها، ومراتب حجّيتها، وبيان ما يعرض من أحوال. فهذا العلم هو الذي يُبيّن حجّيّة القرآن، وتقديمه على السنّة، وأنّه أصل الشّريعة الإسلاميّة. ولذلك، فإنّ لـ (علم أصول الفقه) أهميّة عظيمة في كونه يهتمّ ببيان مصادر الأحكام، وحجّيتها، ومراتب، وشروط، ومنهج الاستدلال بها، وكيفية الاستنباط، وتكمن أهميته في كونه هو " العلم الذي يُمدّد

المجتهدين بالأدلة، والقواعد، والضوابط التي تعينهم على الاجتهاد، كما أنه يبيّن كيفية استنباط الاحكام الشرعية، وطرق الاستنباط.¹

4. العلاقة بين (علم النحو) و (علم أصول النحو):

يُمكن توضيح العلاقة بين علم النحو وعلم أصول النحو، من خلال معرفة الأمور التي يبحث فيها كلّ واحدٍ منهما، فعلم النحو هو العلم الذي يتناول القواعد والمقاييس التي تمّ استنباطها من الكلام العربيّ الفصيح، كما عرّفه ابن السّراج حين قال بأنّه العلم الذي استخرجه المتقدّمون بناءً على دراستهم لكلام العرب، أمّا علم أصول النحو فهو العلم الذي يبحث في الأدلّة النحويّة الأساسيّة لاستخراج الأحكام والقواعد الفرعيّة لعلم النحو، مما يقود إلى فهم العلاقة القائمة بين العلمين، والتي تصنّف على أنّها علاقة مبنية على التّكامل، فحتّى يتمّ وضع القواعد والأحكام المتّبعة في علم النحو يلزم إسنادها إلى أدلّة أصوليّة وضعها النّحاة أثناء دراستهم لفروع النحو، ومن خلال هذه القواعد الأصوليّة الأساسيّة يتمّ بناء علم النحو العربيّ بفروعه وفصوله، فعلم أصول النحو هو المعيار والميزان القويم الذي يقوم عليه علم النحو. ويُمكن توضيح العلاقة بين علميّ (أصول الفقه)، و(أصول النحو) من خلال الرّجوع إلى تعريف كلّ واحدٍ منهما، فعلم أصول الفقه هو العلم الذي يبحث في القواعد التي يتمّ من خلالها استخراج الأحكام الشرعيّة الفرعيّة من الأدلّة، وهذا ما يجعل الأصوليّ يبحث في الأدلّة الكلّيّة، أمّا الفقيه، فهو الباحث في الأدلّة التفصيليّة، أمّا أصول النحو - كما ذكّر سابقاً- تُعنى بأدلّة النحو الكلّيّة التي جاءت منها فروعها، وبالنّظر إلى التعريفين يُمكن الاستنتاج أنّ المبدأ واحد لكليهما، فكلمة

¹ ابن قدامي المقدسيّ، روضة الناظر وجمّة المناظر في أصول الفقه، الدار السلفيّة، الجزائر، ط1، 1991م، ص7 و8.

(الأصول) إذا اتّصلت بعلم ما عنت البحث في (الأدلّة العامّة) للعلم التي يتمّ من خلالها التّوصل إلى العلم الأصليّ وفروعه، ثمّ يأتي العلم ليفصّل في (أدلّته الجزئيّة)، وهذا هو موضع التشابه بينهما، أمّا موضع الاختلاف فيكمن في طبيعة المواضيع التي يتناولها كلّ علم. وتجب الإشارة إلى وجود رابطة اللغة العربية رغم اختلاف المواضيع، فالعالم بـ (أصول الفقه) وجب أن يكون ملماً في قواعد اللّغة العربيّة، وقد أكّد علماء أصول الفقه كابن حزم الأندلسيّ وغيره على أنّه لا بُد للفقهاء أن يكون نحوياً لغويّاً، وإلاّ فهو ناقص، فعلى الفقيه أن يكون ملماً بما يعينه على فهم خطابات النّاس، ومعرفة عاداتهم وما تعارفوا عليه من الكلام ليستطيع التمييز بين ظاهر الكلام وباطنه، والابتعاد بذلك عن مواطن الزلّل.¹

¹ - ابن قدامي المقدسيّ، المرجع السابق، وفخر الدّين الرّازي، المحصول في علم الأصول، 435/2، ومحمّد الأمين بن المختار الشنقيطيّ، مذكرة في أصول الفقه، الدّار السّلفيّة، الجزائر، وفخر الدّين الرّازي، المحصول في علم الأصول، ج 2، ص 435.

فصل ثاني - تطبيقي -

** نماذج عن بعض القضايا

في كتاب "الرّسالة" للشّافعيّ **

■ أولاً: لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً:

إنّ ممّا أجمع عليه علماء اللّغة العربيّة وفقهاؤها وعلماء الأصول العرب القدامى أنّ من خصائص العربيّة أنّها أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ومن هؤلاء العلماء والأصوليين الإمام الشافعي الذي قال في هذا الشأن: " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا تعلمه يُحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنته لا يذهب منه شيء على عامتها، حتّى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه ".¹

■ ثانياً: العلم بلسان العرب – عند الشافعي – كالعلم بالسنة النبوية الشريفة عند أهل الفقه:

يرى الشافعي أنّ العلم بلسان العرب – عند الشافعي – كالعلم بالسنة النبوية الشريفة عند أهل الفقه، فهو يقول في ذلك: " والعلم به عند العربيّ كالعلم بالسنة عند أهل الفقه لا تعلم رجلا جمع السنن، فلم يذهب منها عليه شيء، فاذا جمع علم عامه أهل العلم بها، أتى على السنن، واذا فرق علم كل واحد منهم، ذهب عليه الشيء منها، ثمّ كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره ".²

■ ثالثاً: العرب الفصحاء – في العلم بلسان العرب – هم طبقاتهم طبقات:

يذهب الشافعي إلى أنّ العرب الفصحاء – في العلم بلسان العرب – هم طبقاتهم طبقات، فيقول في ذلك: " إنّ العرب طبقات في العلم بلسان العرب مثلهم في ذلك مثل أصحاب السنن – في الشريعة الإسلاميّة – الذين هم – أيضاً – طبقات في العلم بسنن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال الشافعي في ذلك: " وهم في العلم طبقاتهم طبقات منهم الجامع لأكثره، وإن ذهب عليه بعضه، ومنهم الجامع لأقلّ

¹ – الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 61.

² – المصدر نفسه.

مما جمع غيره. وليس قليل ما ذهب من السُّنن على من جمع أكثرها دليلا على أنّ على أن يطلب علما عند غير طبقته من أهل العلم، بل يطلب عند نظراته ما ذهب عليه حتى يؤتى على جميع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، فيقرّه جملة العلماء بجمعها، وهم درجات فيما وعوا منها. وهكذا لسان العرب عند خاصّتها وعامّتها لا يذهب منه شيء عليها، ولا يطلب عند غيرها، ولا يعلمه إلاّ من قبله عنه " ¹.

■ رابعا: من اتّبع العرب في لسانها، فهو يشركها فيه:

قال الشافعي: " إلاّ من اتّبعها في تعلّمه منها، ومن معه منها، فهو من أهل لسانها، وإن صار غيرهم من غير أهله بتركه، فإذا صار إليه صار من أهله.

■ خامسا: علم أكثر اللسان في أكثر العرب أعمّ من علم أكثر السُّنن في العلماء:

قال الشافعي: " وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أعمّ من علم أكثر السُّنن في العلماء " ².

■ سادسا: من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب، وهم في ذلك تبع للعربيّ فيه:

ويذهب الشافعيّ - أيضا - إلى أنّ من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب، وهم في ذلك تبع للعربيّ فيه، فيقول: " فإن قال قائل فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب؟، فذلك يحتمل ما وصفت به ما وصفت من تعلّمه منهم. فإن لم يكن ممن تعلّمه منهم، فلا يوجد من ينطق إلاّ بالقليل منه، ومن نطق بقليل منه، فهو تبع للعربيّ فيه. ولا ننكر إذا كان اللفظ قيل تعلّم أو

¹ - الشافعيّ، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 61.

² - المصدر نفسه، ص 61.

نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم، وبعضها قليلاً من لسان العرب¹ كما ينعت القليل من السنّة المتباينة في أكثر كلامها مع تتالي ديارها، واختلافي لسانها².

■ سابعاً: لسان العرب الأصل، ولسان العجم من لسان العرب إذا وافقت بعض لسانه:

يرى الشافعي أنّ اللسان العربيّ هو أصل اللغات الأعجميّة إذا وافقته في بعض من كلامها، فهو

يقول في هذا: " ويعدّ الأواصر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها "³.

■ ثامناً: حُجّة الشافعيّ في كون القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيّ خالصٍ لا توجد في كلمات

أعجميّة:

يرى الشافعيّ أنّ القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيّ، وهو خالٍ من الكلمات الأعجميّة، فهو

يقول: " فإن قال قائل: ما الحجّة في أن كتاب الله محض بلسان العرب، لا يُخلطه فيه. فالحجّة فيه كتاب

الله، قال الله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (أبراهيم: 04)، فإن قال قائل: فإن الرُّسُلَ

قبل محمّد كانوا يُرسلون إلى قومهم خاصّة، وإنّ محمّداً بعث إلى النّاس كافّة، فقد يَحْتَمَلُ أن يكون بُعِثَ

بلسان قومه خاصّة، ويكون على النّاس كافّة أن يتعلّموا لسانه وما أطاقوا منه، ويحتمل أن يكون بعث

بألسنتهم: فهل من دليل على أنّه بُعِثَ بلسان قومه خاصّة دون ألسنة العجم؟، فإذا كانت الألسنة

¹ - الشافعيّ، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص62.

² - المصدر نفسه، ص62.

³ - المصدر نفسه، ص62.

مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض : فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض، وأن يكون الفضل في ا
اللسان المتبع على التابع " ¹.

■ تاسعا: لا يجوز - عند الشافعي - أن يكون أهل لسان النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد:

يرى الشافعي أنه لا يجوز أن يكون أصحاب لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - أباغ الأعاجم في لغاتهم، لأن اللسان العربي له الفضل والمزية، لأنه هو أصل اللغات الذي يتبع، ولا يتبع، وفي هذا يقول: " وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي . ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه " ².

■ عاشرًا: حُجج الشافعي من القرآن الكريم في كون كل لسان بشري هو تابع للسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

ويسرد الشافعي بعض الحجج والشواهد من القرآن الكريم في كون كل لسان بشري هو تابع للسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول: " يوقد بئز الله ذلك في غير آية من كتابه: قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (الرعد: 37)،

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 63.

² - المصدر نفسه، ص 63.

وقال : وَكَذَلِكَ ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء: 195)،

وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: 07)،

وقال : ﴿ حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣ ﴾ (الزخرف: 03)،

وقال: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر : 28)¹

■ أحد عشر: الله تعالى ينفي عن اللسان العربي كل لسان غير لسان العرب:

ثم بيّن الشافعي أنّ الله تعالى ينفي عن اللسان العربي كل لسان غير لسان العرب، فيقول: " كما

أقام حُجَّتَهُ بأنّ كتابه عربيّ في كلّ آية ذكرناها، ثمّ أكّد ذلك بأن نفي عنه - جلّ ثناؤه - كلّ لسان غير

لسان العرب، في آيتين من كتابه،

فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ

وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل: 103)،

وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا وَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ (فصلت: 44).²

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 63.

² - المصدر نفسه، ص 64.

■ اثنا عشر: الله تعالى أنعم علينا بما خصنا به من مكانة النبي العربي صاحب اللسان

العربي:

يذكر الشافعي بأن الله تعالى أنعم علينا بما خصنا به من مكانة النبي العربي صاحب اللسان العربي،

فيقول: " وَعَرَفْنَا نِعْمَهُ بِمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ مَكَانِهِ فَقَالَ: ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة: 128)،

وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة: 02)،

وكان مما عرّف الله نبيه من إنعامه أن قال: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ فخص قومه بالذكر معه

بكتابه، وقال: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: 214).

وقال: ﴿ لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى: 07).

وأُمّ القرى مكة وهي بلده وبلد قومه، فجعلهم في كتابه خاصته، وادخلهم مع المنذرين عامة، وقضى أن

ينذر بلسانهم العربي لسان قومه منهم خاصة¹.

■ ثلاثة عشر: على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ليعرف دينه ويتفقّه

فيه، وكلّما ازداد في ذلك علما، كان خيرا له:

يرى الشافعي أنّ اللسان العربي هو الأساس لفهم كلام الله تعالى وفهم كلام النبي محمد صلى الله

عليه وسلّم، ولا يمكن بدونه استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية والحديثية استنباطا صحيحا

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 64.

دقيقا وواضحا، وهو يدعو كلَّ مسلم إلى أن يبذل جهده في تعلّم لغة القرآن الكريم ولغة النّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما استطاع، وفي هذا يقول: " فعلى كلِّ مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذّكر فيما افترض عليه من التّكبير، وأمر به من التّسييح والتّشّهّد، وغير ذلك. وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوّته وأنزل به آخر كتبه، كان خيرا له. كما عليه يتعلم الصلاة والذّكر فيها ويأتي البيت وما امر بإتيانه ويتوجّه لما وجه له،¹ ويكون تبعا فيها افترض عليه ونبد اليه لا متبوع وانما بدأت بما وصفت من ان القرآن نزل بلسان العرب دون غيره لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثره وجوه وجماع معانيه وتفرّقها، ومن علمه انتفت عنه الشُّبُهَة التي دخلت على من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصه نصيحة للمسلمين والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه وادراك نافله خير لا يدعها إلا من سفه نفسه وترك موضع حظه وكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بإيضاح حق وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين من طاعة الله وطاعة الله جامعة للخير. أخبرنا سفيان عن زيّاد بن علاقة، قال سمعت جرير ابن عبد الله يقول: (بايعت النّبِيِّ على النُّصح لكلِّ مسلم)². أخبرنا ابن عيينة، عن سهيل بن أبي صالح، عن عطاء بن يزيد، عن تميم

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 65.

² - المصدر نفسه، ص 65.

الدَّارِي أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِنَبِيِّهِ ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) .¹

■ أربعة عشر: مخاطبة الله بكتابه العرب بلسانها العربيّ الواسع على ما تعرف من سننها، وقوانينها، وأساليبها، ومعانيها:

يرى الشافعي أنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين، وخاطب العرب فيه بسنن كلامها وقوانينه وأساليبه المعروفة المألوفة المستعملة عندهم، وفي هذا يقول: " فإتّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها وكان ممّا تعرّفوا من معانيها اتّسع لسانها، وإن فطرته أن يخاطب بالشّيء منه عامّا ظاهرًا يراد به العامّ الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعامّا ظاهرًا يراد به العامّ، ويدخله الخاصّ، فيستدلّ على هذا ببعض ما خطب به فيه، وعامّا ظاهرًا يراد به الخاصّ، وظاهرًا يعرف في سياقه أنّه يراد به غير ظاهره. فكلّ هذا موجود علمه في أوّل الكلام، أو وسطه، أو آخره. وتبتدأ بالشّيء من كلامها يبيّن أوّل لفظها فيه عن آخره، وتبتدأ الشّيء يبيّن آخر لفظها منه عن أوّله. وتكلّمه بالشّيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرف الإشارة، ثمّ يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها. وتسمّي الشّيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمّي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة. وكانت هذه الوجوه التي وصفت اجتماعها في معرفه أهل العلم منها به، وإن اختلفت أسباب معرفتها معرفه واضحه عندها، ومستنكرًا عند غيرها ممّن جهل هذا من لسانها. وبلسانها نزل الكتاب، وجاءت السنّة، فتكلّف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه، ومن تكلف ما

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 66.

جهل، وما لم تثبت معرفته كانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة، والله أعلم. وكان بخطئه غير معذور إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه".¹

■ خمسة عشر: أمثلة عن بعض سنن العرب في كلامها، وأساليبها، ومعانيها التي نزل بها

القرآن الكريم:

يذكر الشافعي أمثلة وشواهد على بعض سنن العرب في كلامها، وأساليبها، ومعانيها التي نزل بها

القرآن الكريم، فيقول: " بيان ما نزل من الكتاب عامًا يراد به العام، ويدخله نصوص:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: 62)،

وقال تبارك وتعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (السجدة: 04)،

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: 06) فهذا عام لا خاص فيه².

فكل شيء من سماء، وأرض، وذو روح، وشجر، وغير ذلك: فالله خلقه، وكل دابة فعلى الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها...

وقال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا

بأنفسهم عن نفسه ﴾ (التوبة: 120)، وهذا في معنى الآية قبلها، وإنما أريد به من أطاق الجهاد من

الرجال، وليس لأحد منهم أن يرغب بنفسه عن نفس النبي، أطاق الجهاد، أو لم يُطقه، ففي هذه الآية

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 67.

² - المصدر نفسه، ص 68.

الخصوص والعموم، وقال: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ (النساء: 75)،

وكذا قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا﴾ (الكهف: 77)، وفي هذه الآية دلالة على أن لم يستطعما كل أهل قرية، فهي في معناهما، وفي القرية الظالم أهلها، خصوص: لأن كل أهل القرية لم يكن ظالماً، قد كان فيهم المسلم، ولكنهم كانوا فيها مكثورين وكانوا فيها أقل. وفي القرآن نظائر لهذا، يُكتفى بها إن شاء الله منها. وفي السنة له نظائر موضوعة مواضعها¹.

وقال الشافعي -أيضاً- في باب: (بيان ما أنزل من الكتاب عام الظاهر، وهو يجمع العام والخصوص):

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)،

وقال تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: 184)²،

وقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: 103). فبيّن في كتاب الله أن في هاتين الآيتين العموم والخصوص، فأما العموم منهما، ففي قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13)، فكل نفس خوطبت بهذا في زمان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده مخلوقة من ذكر وأنثى، وكلها شعوب وقبائل. والخاص منها في

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 68.

² - المصدر نفسه، ص 69.

قول الله: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: 13)، لأنّ التقوى إنّما تكون على من عقلها، وكان من أهلها من البالغين من بني آدم دون المخلوقين من الدواب سواهم ودون المغلوبين على عقولهم منهم، والأطفال الذين لم يبلغوا وعقل التقوى منهم، فلا يجوز أن يوصف بالتقوى وخلافها إلا من عقلها وكان من أهلها أو خالفها فكان من غير أهلها والكتاب يدل على ما وصفت وفي السنة دلالة عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَالصَّبِيَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْحِلْمَ، وَالْمَجْنُونَ حَتَّى يَفِيْقَ). وهكذا التنزيل في الصّوم والصّلاة على البالغين العاقلين، دون مَنْ لم يَبْلُغْ ومن بلغ ممن غلب على عقله، ودون الحَيْضِ فِي أَيَامِ حَيْضِهِنَّ¹. وقال - أيضا - في باب: (بيان ما نَزَلَ مِنَ الْكِتَابِ عَامَ الظَّاهِرِ يُرَادُ بِهِ كُلُّهُ الْخَاصَّ أَحَدِ الْخَاصَّةِ) " وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران:173)، فَإِذَا كَانَ مِنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ نَاسٌ غَيْرَ مَنْ جُمِعَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ الْمَخْبِرُونَ لَهُمْ نَاسٌ غَيْرَ مَنْ جُمِعَ لَهُمْ وَغَيْرَ مَنْ مَعَهُ مِمَّنْ جُمِعَ عَلَيْهِ مَعَهُ، وَكَانَ الْجَامِعُونَ لَهُمْ نَاسًا - فالدلالة بينةٌ مِمَّا وَصَفْتُ: مِنْ أَنَّهُ جَمَعَ لَهُمْ بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ². والعلم يُحِيطُ أَنَّهُ لَمْ يَجْمَعْ لَهُمُ النَّاسُ كُلَّهُمْ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ النَّاسُ كُلَّهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا هُمُ النَّاسُ كُلَّهُمْ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ اسْمُ " النَّاسِ " يَقَعُ عَلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَعَلَى جَمِيعِهِمْ - وَثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ -: كَانَ صَحِيحًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَنْ يَقَالَ: الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ أَرْبَعَةٌ نَفَرًا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ (آل عمران:173): يَعْنُونَ الْمُنْصَرِفِينَ عَنِّ أَحَدٍ غَيْرِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 70.

² - المصدر نفسه، ص 71.

الجامعون منه غير المجموع لهم ولا المخبرين. والمخبرون للمجموع لهم غير الطائفتين والأكثر من الناس في بلدانهم غير الجامعين ولا المجموع لهم ولا المخبرين. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۗ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج: 73). قال: فمخرج اللفظ عام على الناس كلهم، وبين عند أهل العلم بلسان العرب منهم أنه إنما يراد بهذا اللفظ العام المخرج بعض الناس دون بعض لأنه لا يخاطب بهذا إلا من يدعو من دون الله اله تعالى عما يقولون علوا كبيرا لأن فيهم من المؤمنين المغلوبين على عقولهم وغير البالغين ممن لا يدعو معه إله. قال: وهذا في معنى الآية قبلها عند أهل العلم باللسان، والآية قبلها أوضح عند غير أهل العلم لكثرتي الدلالات فيها. قال الشافعي: قال الله تبارك وتعالى ﴿ تَمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ (البقرة: 199)¹. فالعلم يُحيط - إن شاء الله - أن الناس كلهم لم يحضروا عرفة في زمان رسول الله ، ورسول الله المخاطب بهذا ومن معه، ولكن صحيحاً من كلام العرب أن يقال: أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ، يعني بعض الناس. وهذه الآية في مثل معنى الآيتين قبلها، وهي عند العرب سواء. والآية الأولى عند من يجهل لسان العرب من الثانية، والثانية أوضح عندهم من الثالثة، وليس يختلف عند العرب وضوح هذه الآيات معاً، لأن أقل البيان عندها كافٍ من أكثره، إنما يريد السامع فهم قول القائل، فأقل ما يُفهمه به كافٍ عنده. وقال الله جل ثناؤه ﴿ وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (البقرة: 42). فذل كتاب الله على أنه إنما وقوذهما بعض الناس،

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 72.

لقول الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَ الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الانبياء: 102) ¹ . وقال الشافعي - أيضا - في باب الصَّنْف الذي يُبَيِّنُ سياقة معناه: " قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: 163) ، فابتدأ جَلَّ ثناؤه ذكر الأمرِ بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر فلَمَّا قال: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ (الأعراف: 163)، دلَّ على أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون، وقال: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ (الأنبياء: 11) . وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها، فذكر قصم القرية، فلما ذكر أنها ظالمة بأن للسامع أن الظالم إنما هم أهلها، دون منازلها التي لا تظلم، ولما ذكر القوم المنشئين بَعْدَهَا وذكر إحساسهم بالبأس عند القصم : أحاط العلم أنه إنما أحس البأس مَنْ يَعْرِفُ البأس من الآدميين " . وقال في باب (الصَّنْف الذي يَدُلُّ لفظه على باطنه دون ظاهره): " قال الله تبارك وتعالى، وهو يحكي قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (يوسف : 81)، وقوله تعالى: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۚ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (يوسف: 82) فهذه الآيات قبلها، لا تَحْتَلِفُ عند أهل العلم باللسان: " إنهم إنما يُخَاطَبُونَ أباهم بمسألة أهل القرية وأهل العير، لأنَّ القرية والعير لا يُنْبِئَانِ عن

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 73.

صدقهم¹ ". وقال في (باب ما نزل عاما دلت السنة خاصة على أنه يراد به الخاص): " قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ (النساء: 11)²، وقال: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَاللَّهْ أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ ۗ وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ ﴾ (النساء: 12)، فأبان أن للوالدين والأزواج مما سمى في الحالات، وكان عام المخرَج، فدلَّت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه إنما أريد به بعض الوالدين والأزواج دون بعض، وذلك أن يكون دين الوالدين والمولود والزوجين واحدا، ولا يكون الوارث منهما قاتلا ولا مملوكا³.

3

¹ - الشافعي، كتاب الرسالة، المصدر السابق، ص 73.

² - المصدر نفسه، ص 74.

³ - المصدر نفسه، ص 75.

خاتمة

من خلال بحثنا هذا، فقد توصلنا إلى جملة من النتائج، نذكرها على النحو الآتي:

- اتسمت الحضارة العربية الإسلامية القديمة بكونها حضارة ذات صبغة عقلية وعلمية بحثية، فهي تقوم على تمجيد العقل البشري، وتقديس العلم، وخير دليل على ذلك أن القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى استخدام العقل وتشغيله في كل صغيرة وكبيرة، وحث المسلمين على القراءة، وطلب العلم، والاجتهاد في ذلك لبلوغ أعلى درجات التقدم والازدهار.

- الإبداع العقلي والعلمي والفكري في الحضارة العربية الإسلامية القديمة كان وليد النقاش العلمي الواسع والتأضح بين علماء المسلمين، القائم على خدمة العلم -بجميع تخصصاته الشرعية، واللغوية، والفلسفية- وصيانتها، ومدارسه، وتنميته بمختلف الحجج والبراهين العقلية والعقلية.

- لقد وضع الإمام الشافعي كتاب " الرسالة " استجابةً لطلب عبد الرحمن بن المهدي، الفقيه البارز في البصرة، وذلك ليتناول معاني آيات القرآن الكريم وحجج الإجماع، والناسخ والمنسوخ، متناولاً القضايا العلمية، والمنهجية، واللغوية المثيرة في ذلك الوقت.

- أسس الشافعي كتابه " الرسالة " على ثلاثة مرتكزات علمية أساسية، هي: العلم، والبيان، والقياس.

خاتمة

- أكد الشافعي أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ خالصٍ، فصيحٍ، بليغٍ، خالٍ من الكلمات الأعمجية، مستدلاً في ذلك بمثل قوله سبحانه وتعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۗ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) } (ابراهيم: 4).
- إنّ معرفة اللّغة العربيّة، والإحاطة بخصائصها، وعلومها تعتبر مفتاحاً لفهم الدّين الإسلاميّ، وأساساً في استنباط الأحكام الشرعيّة المختلفة من آيات القرآن الكريم وأحاديث النّبّي محمد صلى الله عليه وسلّم.
- إنّ الحضارة العقليّة والعلميّة عند العرب والمسلمين القدامى بنيت على الاجتهاد الفكريّ والعلميّ، وبذل أقصى الجهود الفكرية والعلمية للوصول إلى الحقائق العلميّة الدّقيقة والصّحيحة.
- إنّ من شروط الاجتهاد في الدّين الإسلاميّ هو أن لا يفتي الفقيه أو المجتهد - كما أقر ذلك علماء أصول الفقه - إلاّ إذا توقّرت فيه جملة من الشّروط العلميّة، وعلى رأسها أن يكون عالماً باللّغة العربيّة، ولاسيما بعلم النّحو وبعلم أصول النّحو.
- إنّ هناك ارتباط كبير بين العلوم الشرعيّة والعلوم اللّغويّة، ولاسيما بين علم أصول الفقه وعلم أصول النّحو اللّذين تربطهما علاقة جدّ وطيدة.
- إنّ علم أصول الفقه وعلم أصول النّحو اشتركا في دراسة الكثير من القضايا اللّغويّة الصّوتيّة، والصّرفيّة، والنّحويّة، والدّلاليّة.

خاتمة

- لقد أجمع الكثير من علماء اللّغة العربيّة وعلماء أصول الفقه على أنّ اللّغة العربيّة تعتبر أوسع اللّغات، وأكثرها ألفاظاً وتنوّعا في التّراكيب والأساليب.

- لقد اتّفق الكثير من علماء اللّغة العربيّة وعلماء أصول الفقه على أنّ اللّغة العربيّة على أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين خالٍ من الألفاظ الأعجميّة، وخير دليل على ذلك - الشّافعيّ - الذي يعدّ من أعظم علماء أصول الفقه، و - ابن فارس - الذي يعدّ هو الآخر من أعظم علماء اللّغة العربيّة وفقهاؤها، قد رفضا القول بأنّ في القرآن الكريم كلمات أعجميّة.



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر:

1. أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، كتاب الرسالة، دار الكتاب العربي، 150هـ-204هـ.

2. القرآن الكريم.

ثانياً: قائمة المراجع:

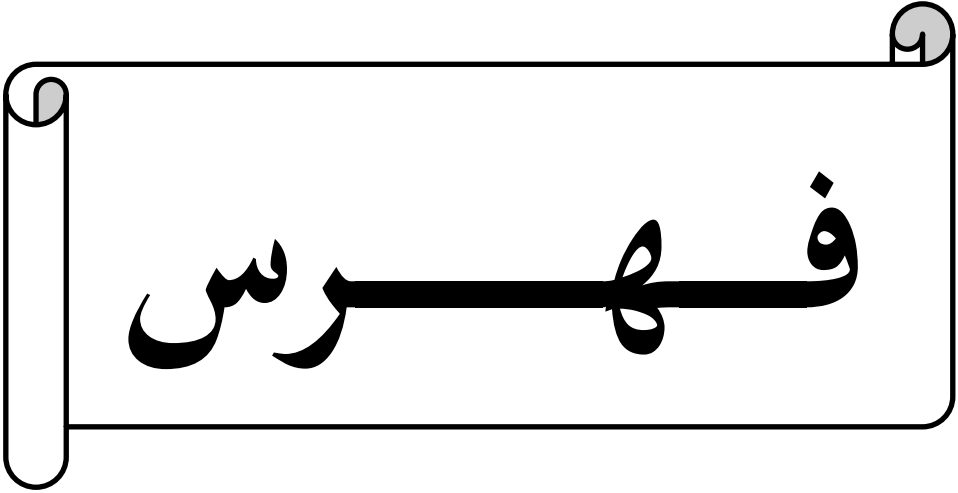
1. ابن الأنباري، لمع الأدلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، د.ت.، ص80، والسيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص31 و32، و التّواتي بن التّواتي، محاضرات في أصول النحو، دار الوعي للنشر والتّوزيع، الرّويّة، الجزائر، 2008.

2. ابن قدامى المقدسي، المرجع السابق، وفخر الدّين الرّازي، المحصول في علم الأصول، 435/2، ومحمد الأمين بن المختار الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، الدّار السّلفيّة، الجزائر، وفخر الدّين الرّازي، المحصول في علم الأصول، ج2.

3. ابن قدامى المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، الدّار السّلفيّة، الجزائر، ط1، 1991م.

4. أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998م، ط2.
5. أكرم يوسف عمر القواسمي، مدخل إلى المذهب الشافعي، دار النفائس الأردن، ط1، 1433 هـ 2003م.
6. بسمة بنت حسين عباس صبان، معالم منهج البحث الفقهي والعلمي عند الإمام الشافعي، دراسة تحليلية بالسنة المنهجية لمرحلة الدكتوراه سنة 1439/38 هـ.
7. البيهقي، مناقب الشافعي، دار التراث، قسم الشافعي، القاهرة، مصر، 2006، ج2.
8. جمال الدين أبو فضل، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج2، تج عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، د.ط، مادة (أ.ص.ل).
9. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تج صفوان عدنان داودي، دار التعلّم، سوريا، ط4، 2009م.
10. سعد خليفة العيار، العلاقة التبادلية بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية، بن غازي، 2022م.
11. شبكة الألوكة الإسلامية والثقافية والفكرية الشاملة تحت اشراف الدكتور سعد بن عبد الله الحميد.

12. عبد الله البشير محمّد، اللّغة العربيّة في منظور الأصوليين، دار الشؤون الإسلاميّة والعمل الخيريّ، دبي، الإمارات المتّحدة، 2008.
13. علي الأمدى، أحكام في أصول الأحكام، دار الصميّعي للنشر والتوزيع، المملكة العربيّة السعوديّة، ج1، 2003م.
14. ماجد بن عبد الله، استدلال الأصوليين في اللّغة العربيّة، دراسة تأصيلية تطبيقية، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، المجلّد الثالث السعوديّة، سنة 2011.
15. محمّد بن الحسن بن العربيّ، الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلاميّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1990م.



فهرس

الصفحة	المحتوى
	شكر وإهداء
	فهرس المحتويات
أ - د	❖ مقدمة
- مدخل -	
6	➤ المبحث الأول: التعريف بالإمام الشافعي
6	1. اسمه، وكنيته، ولقبه
6	2. مكانته العلميّة، وثناء الأئمّة عليه
7	3. مؤلفاته
9	4. شيوخه
10	5. وفاته - رحمه الله -
11	➤ المبحث الثاني: التعريف بكتاب « الرسالة »
11	1. أسباب تأليف كتاب « الرسالة »
12	2. مضمون كتاب « الرسالة »
13	3. مرتكزات كتاب « الرسالة »
الفصل الأول - علماء الأصول وجهودهم اللّغوية	
16	➤ المبحث الأوّل: تعريف علم الأصول
16	1. في اللّغة
16	1. في الاصطلاح
17	➤ المبحث الثاني: أشهر علماء الأصول قديما وحديثا
17	1. العلماء الذين لهم إسهام في علم أصول الفقه قديما

23	2. العلماء الذين لهم إسهام في علم أصول الفقه حديثا
26	➤ المبحث الثالث: علماء أصول الفقه واللغة العربية
26	1. اهتمام الأصوليين بدراسة اللغة العربية
26	2. أهمية اللغة العربية في منظور الأصوليين
28	➤ المبحث الرابع: أثر اللغة العربية في العلوم الشرعية
30	➤ المبحث الخامس: علاقة علم أصول النحو بعلم أصول الفقه
30	1. تعريف علم أصول النحو
32	2. تعريف أصول الفقه
32	3. الفرق بين (الفقه) و (أصول الفقه)
34	4. العلاقة بين (علم النحو) و (علم أصول النحو)
الفصل الثاني - نماذج عن بعض القضايا في كتاب "الرسالة" للشافعي	
37	○ أولا: لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا
37	○ ثانيا: العلم بلسان العرب - عند الشافعي - كالعلم بالسنة النبوية الشريفة عند أهل الفقه
37	○ ثالثا: العرب الفصحاء - في العلم بلسان العرب - هم طبقاتهم طبقات
38	○ رابعا: من اتبع العرب في لسانها، فهو يشركها فيه
38	○ خامسا: علم أكثر اللسان في أكثر العرب أعم من علم أكثر السنن في العلماء
38	○ سادسا: من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب، وهم في ذلك تبع للعربي فيه
39	○ سابعا: لسان العرب الأصل، ولسان العجم من لسان العرب إذا وافقت بعض لسانه

39	○ ثامنا: حُجَّةُ الشَّافِعِيِّ فِي كَوْنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَزَلَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ خَالِصٍ لَا تَوْجِدُ فِي كَلِمَاتِ أَعْجَمِيَّةٍ
40	○ تاسعا: لَا يَجُوزُ - عِنْدَ الشَّافِعِيِّ - أَنْ يَكُونَ أَهْلُ لِسَانِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتْبَاعًا لِأَهْلِ لِسَانٍ غَيْرِ لِسَانِهِ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ
40	○ عاشرا: حُجِّجَ الشَّافِعِيُّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كَوْنِ كُلِّ لِسَانٍ بَشَرِيٍّ هُوَ تَابِعٌ لِللِّسَانِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
41	○ أحد عشر: اللَّهُ تَعَالَى يَنْفِي عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ كُلِّ لِسَانٍ غَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ
42	○ اثنا عشر: اللَّهُ تَعَالَى أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ مَكَانَةِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ صَاحِبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ
42	○ ثلاثة عشر: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ مَا بَلَّغَهُ جَهْدَهُ لِيَعْرِفَ دِينَهُ وَيَتَفَقَّهَ فِيهِ، وَكَلَّمَا أَزْدَادَ فِي ذَلِكَ عُلَمَاءَ، كَانَ خَيْرًا لَهُ
44	○ أربعة عشر: مَخَاطَبَةُ اللَّهِ بِكِتَابَةِ الْعَرَبِ بِلِسَانِهَا الْعَرَبِيِّ الْوَاسِعِ عَلَى مَا تَعْرِفُ مِنْ سُنَنِهَا، وَقَوَانِينِهَا، وَأَسَالِيِبِهَا، وَمَعَانِيهَا
45	○ خمسة عشر: أَمْثَلَةُ عَنِ بَعْضِ سُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا، وَأَسَالِيِبِهَا، وَمَعَانِيهَا الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
52	❖ خاتمة
56	❖ قائمة المصادر والمراجع

ملخص الدراسة :

يعد الإمام الشافعي من علماء الأصوليين الذين درسوا القرآن الكريم أصولية فقهية، وهو من وضع علم " أصول الفقه " ومن أظم علماء فقه .
و هناك علاقة متينة تربط العلوم اللغوية بالعلوم الشرعية .
و ضم اللغة العربية يكمن في فهم الدين الإسلامي و ذلك لفهم المعاني المقصودة من آليات القرآن الكريم و أحاديث النبوي الشريف و استنباط الأحكام الفقهية .
فالإمام الشافعي وضع كتابة الرسالة و أسسها على ركائز مهمة العلم و البيان و القياس .
و علم أصول الفقه و علم أصول النحو تربطهما علاقة مشتركة في المسائل اللغوية الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية .
وشافعي يرفض القول بأن القرآن الكريم فيه كلمات أعجمية لأنه نزل بلسان عربي مبين .

Summary:

Imam Al-Shafi'i is considered one of the fundamentalist scholars who studied the Holy Qur'an as a jurisprudentialist. He is the one who developed the science of "the principles of jurisprudence" and one of the most distinguished scholars of jurisprudence.

There is a strong relationship between linguistic sciences and legal sciences.

The inclusion of the Arabic language lies in understanding the Islamic religion, in order to understand the intended meanings of the mechanisms of the Holy Qur'an and the hadiths of the Noble Prophet, and to derive jurisprudential rulings.

Imam Al-Shafi'i established the writing of the treatise and its foundations on the pillars of the mission of knowledge, clarification, and analogy.

The science of jurisprudence and the science of grammar have a common relationship in phonetic, morphological, grammatical, and semantic linguistic issues.

Shafi'i rejects the claim that the Holy Qur'an contains foreign words because it was revealed in a clear Arabic language.